التحنيط وأنواعه

كان الناس في العهد السابق عما قبل التاريخ يضعون موتاهم في حفر صغيرة لحفظها من الفناء ووقايتها من التلاشى نظراً لحرارة الجو وجفاف الأرض؛ ثم عولوا على إيداع الجثث في أكياس ونحوها من الطين أو الجلد لتبقى في حالة جيدة زمنا طويلا؛ ويضعون بجانبها أواني الغذاء والشراب، وذوى الشهرة والثروة منهم كانوا يضعون بجانب ما ذكر آلات الصيد والقنص والقتال دلالة على ما كان لهم من عظم الشأن في حياتهم.

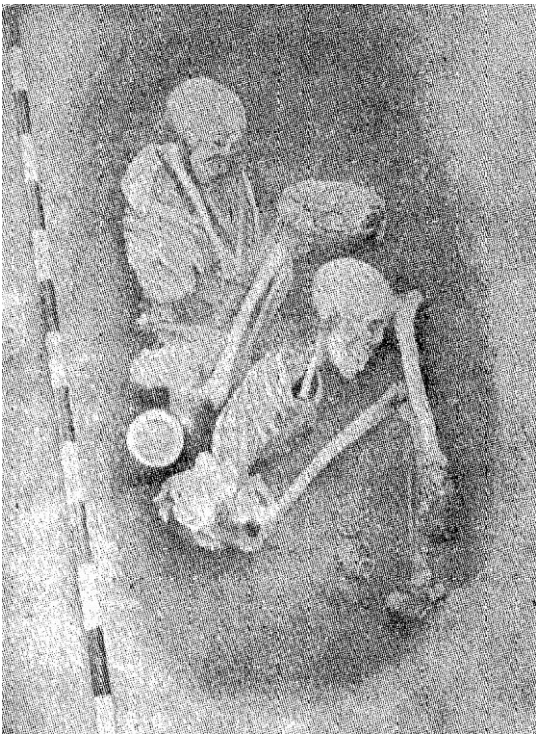

جثتان محنطات يرجع عهدهما إلى ما قبل الأسر الفرعونية ووجد بجانبها في القبر كعك كبير من الصمغ الصنوبري

ثم اخترع الكهنة بعد توالي العصور الوسائل الاولية لفن التحنيط بواسطة الصمغ الصنوبري؛ ليحفظ الجثة أزماناً طويلة على شكلها المعهود؛ لتكون أليق في اتصال الروح بها بعد انتقالها من العالم الأول إلى العالم الثاني.

ثم تقدم فن التحنيط بقدر ما أرشدت إليه التجارب والاكتشافات العلمية، ولكن الكتب الخاصة به في ذاك العهد لم تكن كثيرة التداول قبل ما دونه عنها المؤرخ اليوناني هيردوت الذي كان يستمر في الاستقصاء والتحري؛ وجمع المعلومات عن التحنيط المصري؛ وتكلم عن الاحتفالات الدينين التي كانوا يجرونها لإتخاذه والمعاملات التجارية التي ساعدت على استحضار معداته.

وكان لرئيس المحنطين تأثير خاص فلا ينتقي للإشتراك معهو في إجرائه إلا من يثق بهم من رجال الكهنوت الأتقياء، ومن يأتمنهم من الجراحين والعملة وبعض أرباب الصنائع التي يستلزمها التحنيط طبقا لاسرارة وتعلماتهة وأعداد اللفائف من غزل الكتان وغيره. وكان مساعدوه لا ينتخبون لهذ المهنة إلا بطريق التوارث مما يصلح فيهم لها طبقا لتعليمات الفراعنة وعنايتهم الكلية بالتحنيط.

وكانت الأمكنة المخصصة لأعمال التحنيط ترتب إلى أقسام الأول منها يباح دخوله للجميع وهي التي تشتمل على أعداد الأجزاء الصناعية المفردة فقط؛ والثاني وهو القاعة الخاصة بدرس علم التشريح فنيا لا يدخلها غير الأستاذ وقت إلقاء الدروس.

والثالث مخصص لوضع الجثث المحنطة التي بعد انتهاء أعمالها تسلم لاقاربهم وأصدقائهم؛ ويتبعون في وضعها في المقابر التعليمات التي تلقي إليهم بوثائق تشمل أصحاب الجثث، وملخص تاريخهم، والمرض المسبب للوفاة والمكان المصرح بالدفن فيه بعد أداء الرسوم التي تكون نقررت لنفقات التحنيط حسب الدرجة المتفق عليها؛ك فتوضع الجثة في تابوت خشبي ويحلى بالنقوش، وكان يكتب على غطاء كل

تابوت ثمنه وبيان مشتملاته وقد قال يودور الصقلي أن ثمن التابوت من الدرجة الأولى كان مائة وستين جنيها، ومن الدرجة الثانية ستين جنيها؛ ومن الدرجة الثالثة أربعة جنيهات تقريبا.

وكانت من عادات النساء إذا توفى أحد أفراد العائلة تغطية وجوههن والطواف بالمدينة وعلى منازل الاصدقاء، مرسلة الشعور رافعات الأصوات بالندب والعويل إظهاراً للجزع والحزن؛ وليكون ذلك إخباراً عن وفاة الميت بين قومه وجيرانه. ولا زالت هذه العادة ساريا في بعض قرى الأقاليم إلى الآن رغما عن القول بأننا في عصر المدنية وعن الأدعاء بأن تطور العصور محا من النفوس أخلاق الجهالات لأولى. (المترجم)

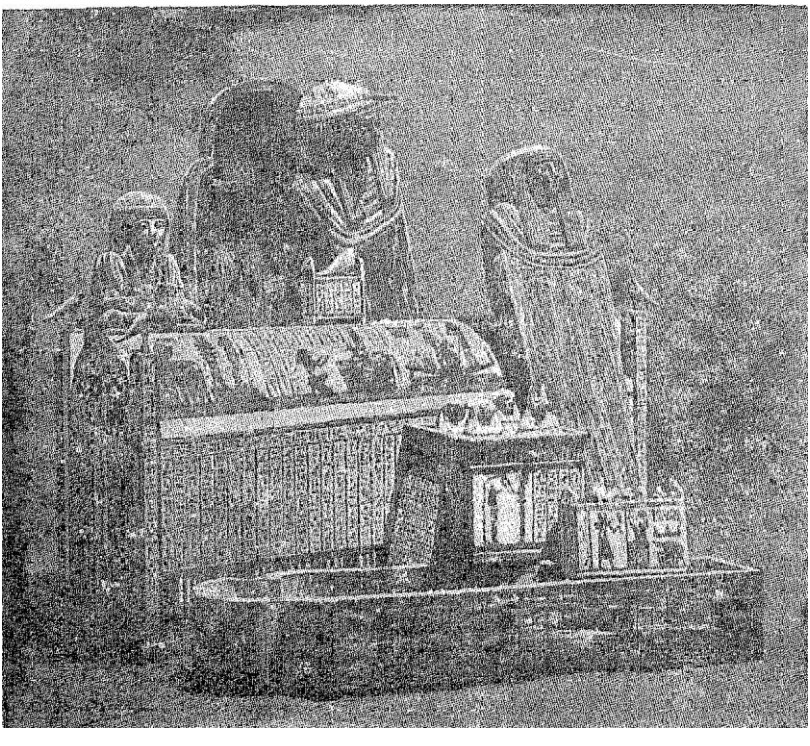

مجموعة نماذج توابيت جنازية من العصرين البياسطي والصاوي بطيبة

وبعد هذه المظاهرة يحضر أقارب المتوفي ومن يشاطرهم في الأحزان لاجله إلى معمل التحنيط؛ ويختارون للجثة أحد النماذج حسب استطاعتهم المالية. وقد وصف هيردوت كيفية عمل التحنيط عند قدماء المصريين سنة ٤٥٠ ق.م وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول

يبدأ المحنطون عملهم بكسر المصفاة وجزء من العظم الوتدي؛ ويستخرجون المخ من الألنف باستعمال آلة حديدة معوجة، ويملؤون الجزء المجوف (مكان المخ) بالطيب والصمغ الصنوبر، ويستعملون لهذا الغرض أداة خشبية وخنجراً من المعدن ومقراضا صغيراً.

ويبدأون تحنيط الجثة بوضعها على مائدة خشبية مستطيلة؛ ويضع المحنط على الجانب الأيسر ماء يقدره بنسبة حالة الجثة ممزوجا بما يستدعيه العمل، ويبدأ في شقها من بداية الجنب إلى نهايته بقطعة حادة من الحجر الذي كانوا يسمونه قديما حجر أثيوبي وعرفه علماء طبقات الأرض باسم حصاه أثيوبيا.

ومتى أتم المحنط عملية الشق انتقل من مكانه مسرعا، ويتبعه الحازضرون ويرجمونه بالحجارة ويلعنونه، ثم يستخرجون الأحشاء بعدئذ وكل الاجزاء اللينة، ويبقون القلب والكلا ي مكانها، ويغسلون الجوف بنبيذ البلح الممزوج بكمية ن المر والخيار الشنبر والطيب والأسفلت؛ ثم يخيطون الجلد ثانية ويغسلون الجثة، ويضعون فوقها كميات من الأملاح، ويغطونها بمسحوق النطرون مدة سبعين يوما. وبعد انتهاء هذه المدة يدهنون الجثة بزيت خشب الارز والعطر، ويضعونها في لفائف مصمغة بالصمغ العربي ويذهبون غطاء الوجه ويرسمون فوقه صورته. وكانوا يعتنون في أن تكون اللفائف العلوية محلاة برسوم ونقوش هيروغليفية بغاية الإبداع والاتقان. ثم يأتي أقارب المتوفي وينقلون الجثة في صندوق خشبي مصنوع على شكل آدمي؛ ويوضع في جانب قاعة مخصصة لهذا الغرض. وهذا النوع عندهم هو أهم أنواع التحنيط التي يقصدون

منها المغالاة والزينة متى كانت الجثة جثة أحد العظماء والمشاهير الذين يرام بمظاهر التحنيط وفخامته الإيماء إلى ما كان له من علو المنزلة وعظم الشأن بين قومه.

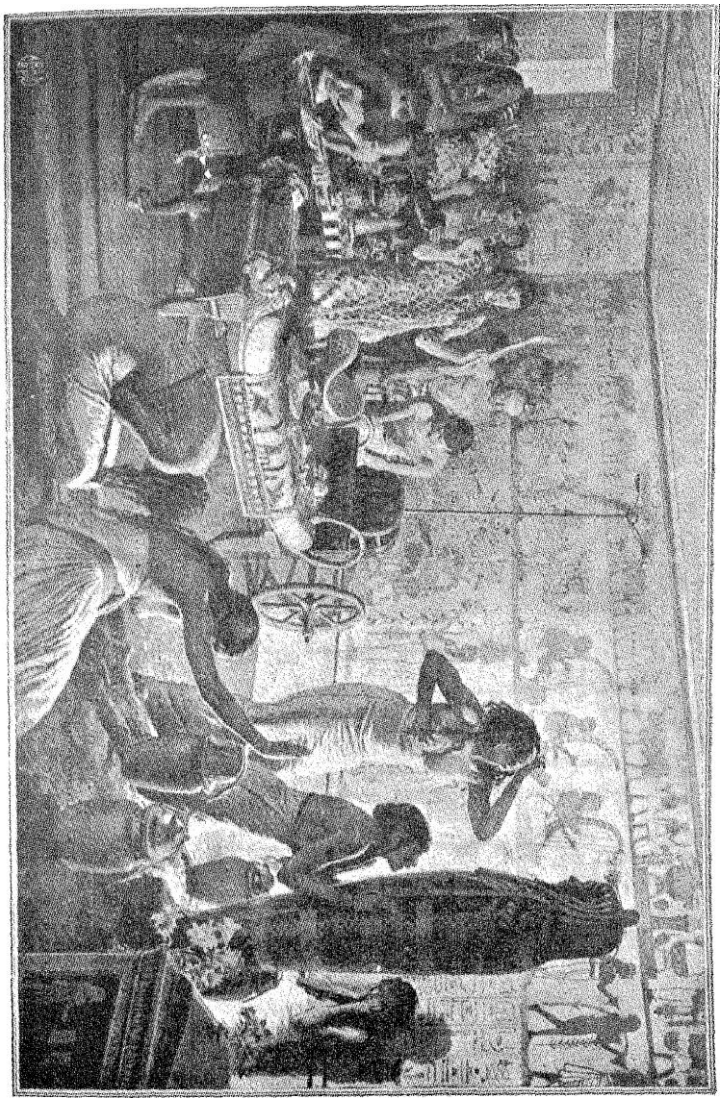

رسم جثة محنطة داخل نعشها وبقربها النساء تبكين وتندبين، والرجال يضربون آلات شبيهة بالعود وأمامهم الراقصات

النوع الثاني

ليس كل الناس يرغبون التغالي في أعمال التحنيط على الوجه الذي سبقت الإشارة إليه، بل كان أوساط الطبقات ومن في حكمهم لا يميلون إلى الأحزان والبذخ يكتفون في عملية التحنيط بما يقي الجثة من التلف فيكتفون بحقنها بكميات من الدهن السائل المستخرج من خشب الارز، وتستعمل غالبا في بطن الميت بدون شق الجسم وبدون إخراج شيء من الحوايا والأمعاء، ويسدون منفذ الحقن منعاً لسقوط السائل، ثم يضعون الجثة مدة سبعين يوما في محلول قلوي، وبمضي هذه المدة يستخرجون الجثة منه ويخرجون منها السائل الذي يجتذب معه الأحشاء الذائبة، ويجففون العظام بمسحوق النظرون. وي هذه الحالة لا يكون بقايا من الجثة سوى العضلات والعظام والجلد، بوإتمام تجهيزها على هذه الطريقة توضع في لفائف معقمة ويبقى جزء الوجه،و فيدهنونه بلون أحمر وتسلم بعد ذلك إلى أسرة المتوفي لدفنها بالمكان المعد لأمثالهم.

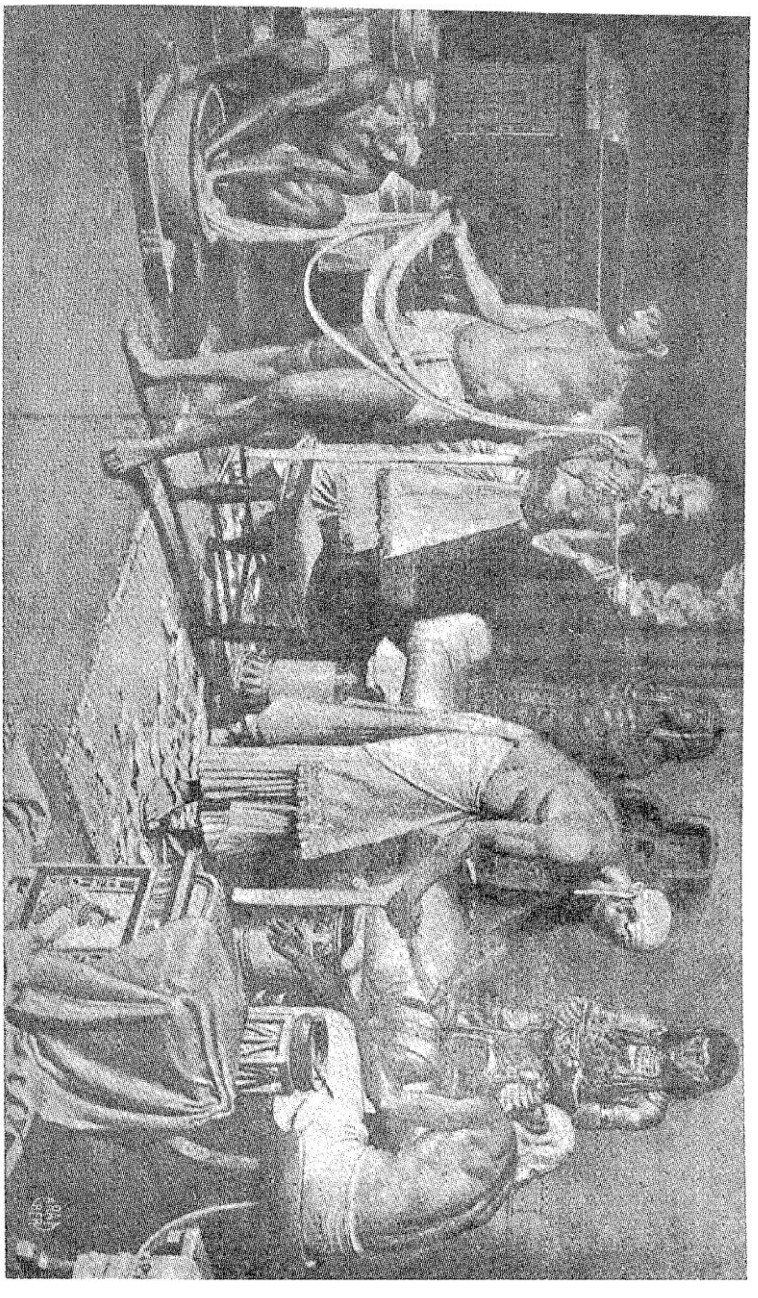

طريقة التحنيط عند القدماء المصريين

النوع الثالث

هو تحنيط الفقراء الذين لا يستطيعون كثرة النفقات، وهو ينحصر في إيداع الجثة مدة سبعين يوما في محلول قلوي من النطرون؛ وتستخرج منه بعد ذلك وتجعل في لفائف بسيطة وتسلم لأهلها لدفنها.

ويوجد هناك نوع رابع للتحنيط أقل درجة من الثلاثة أنواع السابق ذكرها لم يتكلم عنه هيردوت، إنما كان مستعملا عند قدماء المصريين بواسطة جعل جثث الفقراء في لفائف ممزوجة بمركبات تقيها من التعفن والتلف زمنا محدوداً، ثم تدفن في مكان رملي على عمق متر تقريبا، ووجدت جثث محنطة على هذه الحالة.

وكانوا يجعلون الاحتفال بتشييع الجنائز للفقراء والأواسط على جانب من البساطة، أما الأغنياء فيقيمون لها الاحتفالات الفخمة ويرسمون لجنائزهم مظاهر دالة على ما كان معتاداً في أزمانهم من أنواع الحفاوة كالراقصات والنادبات والباكيات تذكرن أعمال موتاهم ومناقبهم المشرفة لسيرتهم وأوصافهم الحميدة، ماشيات أمام العربات الجنازية التي تجرها الثيران، ويتبع هذه المواكب الأقارب والأصدقاء، وينزلون أخيراً التابوت المهيء في كهف على شكل مدفنة تكون أحيانا في سقف المصطبة الموصلة الى المدفن الجنازي المحفور في الصحراء، وتوضع الجثة في التابوت المخصص لها، وعند الدفن يذبحون ثوراً رباعيا سمينا ويسدون فتحة الدهليز ويلقون الحجارة الضخمة وغيرها بجانبه ثم يقيمون الزخارف حوله كأثر تاريخي يتعظ برؤيته المترددون على هذه الأماكن في الأيام المجعولة لزيارتها.

ولكون المقابر غالبا تنشأ في الجهة الغربية، فلدى نقل الموتى إليها من أماكنهم بالجهات الشرقية؛ كانوا ينقلون الجثث في سفن مزينة محلاة بأنواع الزخارف والنباتات ويحيط بها عدد كبير من القوارب المملؤة بالقرابين والزهور والرياحين.

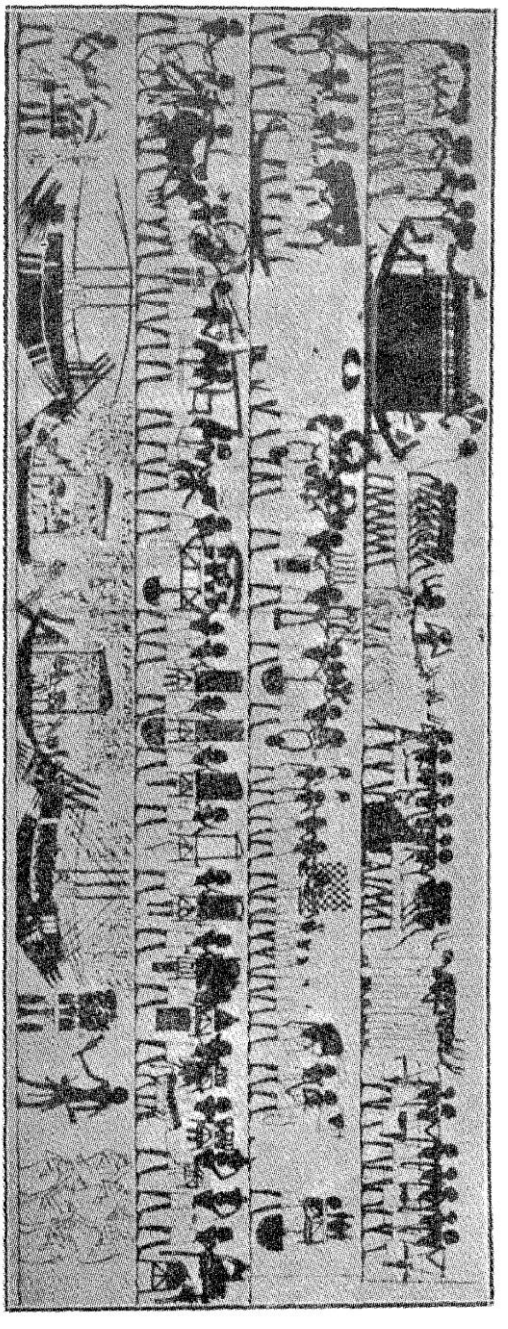

رسم احتفال جنازي مأخوذ من قبر الملك حور محب بطيبة (الأسرة ١٨)